Diyala Journal
for Human Research
Website:
djhr.uodiyala.edu.iq

مجلة ديالى
للبحوث الإنسانية

p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838

العدد (٩٧) المجلد (١) ايلول ٢٠٢٣

مجلة ديالى للبحوث الانسانية

الآخر في رحلات باسم فرات

The Other Journeys of Basim Furat

تغريد مجيد حميد
المديرية العامة لتربية ديالى

أ.د. فاضل عبود خميس التميمي
جامعة ديالى كلية التربية للعلوم الانسانية

Abstract

This research stands at the concept of the other in the journeys of the Basim Furat, and its goal: to reveal the relationship of the traveler with the other who is different from his language, culture, nationality, and the nature of the relationship between (I am the traveler) and (the other), as his counterpart in life

Email: Ar.hum@uodiyala.edu.iq.

Published: 1/9/2023

Keywords: الآخر، الرحلة، الرحال، المتخيل، المعابد.

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص:

يقف هذا البحث عند مفهوم الآخر في رحلات باسم فرات، وهدفه: الكشف عن علاقة الرحال بالآخر المختلف عن لغته، وثقافته، وجنسيته، وطبيعة العلاقة الرابطة بين (أنا الرحال) و(الآخر)؛ بوصفه مثيلًا لَهُ في الحياة.

المقدمة:

وَثّقت كتب الرحلة في العصر الحديث ملاحظات قيمة عن بلدان العالم المرتحل إليها ونقلت تفاصيل دقيقة عن عاداتِ السكان وأعرافهم وأنشطتهم، فأسهمت إسهامًا ملحوظًا في العناية بالدراسات الإنسانية، وعُني رحال العصر الحديث بما ألفتهُ الشعوب من العوائد وأنماط العيش، وطقوس التعبد، وأشكال المساكن ومظاهر الاحتفال التي قد لا تدخل ضمن دائرة اهتمام المؤرخين، فراكمتِ الرحلة بهذا المفهوم مادة غنيةً قامت على أسسِها وأساسها الدراسات الاجتماعية والنفسية والأنثربولوجية[١].

يُعَدُّ باسم فرات من أبرز الرحالة في الوقت المعاصر، الذين لهم أثر بارز في الكشف عن سلوكيات الأفراد والمجتمعاتِ في اهتماماتهم وصفاتهم، وتقاليدهم وبكل ما يدور حولهم، وقد بدأنا بالآخر أولًا؛ لنكسرَ حالة الملل التي تتسللُ إلى القارئ.

كان رصد أنماط العيش، وطقوس التعبُّد والزواج، وأشكال المساكن ومظاهر الاحتفال الأخرى، قد صيَّر من رحلات باسم فرات وثائق مهمة، برزت شخصيته، فحملَت رحلاته ثراءً في المعطيات الحضارية، والنفسية، والتاريخية، ومتعة بالقراءة، مما تحيلنا على تصور عوالم مستوحاة من أجواء الرحلات ومحطاتها، وطريق سيرها، وغيرها من الأحوال التي سنعرض لها، وتوصل البحث إلى نتائج عِدَّة، أبرزها: أَنَّهُ لا توجد مشكلة بين الرحال والآخر الذي يصادفه باسم فرات في أي وطن أو أَرض.

أ- الآخر دينيًا في رحلات باسم فرات:

يشكل الدين مكانة مرموقةً في تشكيل المجتمعات، وفي تحديد سلوك الأفراد فيها، ويُسهم في التعرف على ماهية الإنسان، واهتماماته، وانفعالاته، وبكل ما يحيط بهِ وما يصدر عنه من سلوكياته وأنماط تفكيرهِ[٢]، ونبيّن كيف وثق باسم فرات الآخر دينيًا.

لقد رصد فرات بعض أحوال الآخر؛ المختلِف عنه دينيًا وهذا ما يتضح في أغلب رحلاتِهِ، يقول: ((وكنا نسمعُ أصوات التراتيل من الكنائس، وعلى ذكر الكنائس فإن ٩٠% من القساوسة يملكون ثقافةً في الكتاب المقدّس لكنهم يجهلونَ اللاهوت فانتشر الجهل والفساد الإداري بين الكنائس، فتم افتتاح مدرسة في آيار (مايو) ٢٠١٥ لتدريب قساوسة لهم باعٌ بعلم اللاهوت والتعمق بروحية المسيحية التي تؤمن بالخلاص والتقشف، ومحبة الآخرين ولا تلهث خلف المال وكل مفسدات رجل الدين))[٣] ففي هذا تظهر ثقافة باسم فرات اتجاه الآخر، بوساطة كتاباته ورحلاته، بعيدًا عن التعصب الأعمى.

ب- الآخر عند باسم فرات سياسيًا:

أولًا: أنظمة الحكم:

إن الموضوعَ السياسي أهم مكونات الرحلة في العصر القديم وفي العصر الحديث؛ إذ حرص الرحال على إبراز هذا الجانب، والتركيز عليه، من خلال وصف الرحال لشكل الحكم السياسي في تلك البلدان التي زارها الرحال، أو ذهب إليها بصفته لاجئًا[٤] مثل باسم فرات.

حرص باسم فرات في رحلاتهِ حرصًا كبيرًا على رسم البعد السياسي عند الآخر، مُسهِبًا في هذا الجانب إسهابًا كبيرًا، وهذا ما يجده كل من يقرأ رحلاته، يقول: ((في الأول من تموز يوليو ١٩٦٢، حصلت رواندا على استقلالها، لكنه في الحقيقة لم يكن استقلالًا حقيقيًا مفرحًا للجميع، ليتنفسوا هواء الحرية والعدالة. بل كان بداية لكل الجرائم والابادات التي حصلت بعد ذلك، وهي نتيجة ما زرعته ألمانيا ثم بلجيكا في هذا البلد الصغير بمساحتهِ، فالذين قُتلوا من التوتستي لم تتم محاسبة قاتليهم. وزادت ظاهرة اللجوء داخل رواندا وخارجها وأصبحت ظاهرة القتل منتشرة بسبب أثنيتهم إذ انتشرت الكراهية لهم كالوباءِ... لم يعكف حزب واحد على تناول قضية التوتستي أو التنوع الإثني وحين قرر الرئيس أن يكون رئيسًا للأبد، أجهز الجيش عليهِ، وتمَّ حظر حزبه وألغيت الأحزاب وعُطل العمل بالدستور))[٥]، ويستمر باسم فرات في الحديث عن الآخر الذي حرم توستي من حقوقهم، ((حيث وجد التوتستي أنفسهم هدفًا للإبادة والانتقام التعسفيين التدميريين بسبب ما فعلتهُ السلطات البلجيكية لرفع شأنهم على حساب أغلبية الهوتو، حتى على مستوى الدراسة تم حرمان أطفال التوتستي من الدراسة، فكل منطقة لها حق بنسبة بسيطة من الأطفال أن يلتحقوا بالمدارس ويمنع عليهم دخول الجامعات، كذلك ما يخص العمل وسواه، من أجل جعل الفقر والجهل والحرمان دوائر تتخبط بها هذه الإثنية))[٦].

ويقرر باسم فرات أنَّ ما فعلهُ الآخر (الاوربيون) في هذه البلاد؛ أي رواندا قد أتى بأكلِهِ للتفريق وترسيخ المسافات بين الطوائف فيه: ((في تسعينات القرن الماضي قرر الهوتو حلًا أخيرًا، تدريب القوات الخاصة، أو الميليشيات على حرب الإبادة الجماعية إيديولوجيًا في كل البلاد بما فيها المدارس ووسائل الإعلام، ولاسيما أنها تحت السيطرة الكلية للحكومة التي هي من الهوتو، وانتشرت الكراهية ضد التوتستي، كإطلاق تسمية الصراصير عليهم فأصبحت عشبًا ينمو في كل مكان ووباء اجتاح البلاد نتيجة التخطيط والتنفيذ، لم يعد الإنسان الهوتو إنسانًا محبًا لأخيه وشريكه في الوطن، التوتستي؛ بل أصبح يراه صرصورًا يجب التخلص منه))[٧]، وهكذا اكتشف باسم واحدة من اعقد المسائل التي واجهت الإنسان الأفريقي بسبب سياسة الآخر من ظلم، وجور، وفقر.

عمد باسم فرات إلى عقد موازنة بين مكانين ارتحل إليهما مبينًا الفرق الشاسع بين هذين الآخرين من خلال نقده المبطن في أغلب رحلاته للنظام السياسي عندهما يقول: ((وبعدَ ساعتين وجدتني في مطار فِيلْتان عاصمة لاوس. يبطأ موسم الأمطار في جمهورية لاوس الديمقراطية الشعبية التي يحكمها الحزب الشيوعي اللاوي منذ سنة ١٩٧٥ حيث تمت الإطاحة بالملكية في شهر آيار / مايو، وينتهي في شهر تشرين الأول / أكتوبر أو تشرين الثاني / نوفمبر. وبهذا كان وصولي والأرض مليئة بمياه الأمطار ولأرى الفرق الشاسع في كل شيءٍ بين فيلْتان وهيروشيما))[٨].

وذكر الآخر (الحاكم) شائع في أدب الرحلة عند باسم فرات وهو ذِكرٌ قائمٌ على معطيات تاريخية قرأ عنها حينًا وعايشها أحيانًا أخرى، فهو ذكر غير احتفالي وغير تعظيمي للحاكم، يقول: ((إن بقاء روانديين

كثر في أوغندة بلا مسوّغ، سمح دون شك للرئيس الأوغندي يوري مو سفيني أن يقدم الدعم للجبهة الوطنية الرواندية وأما زحف قواتها داخل راونا أعلن الرئيس الرواندي أن بلاده تعرضت إلى احتلال أوغندي فاستنجدَ بفرنسا التي أرسلت في الرابع من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٠ قوات عسكرية للمساعدة. وفي اليوم التالي أرسلت بلجيكا قوات عسكرية أيضًا، فضلًا عن الكونغو (زائير) ما جعل الجبهة تخسر أمام التحالف الرواندي الفرنسي البلجيكي الكونغوي. فعاد أحد قادتها من الولايات المتحدة الأمريكية ومو بو كاغامي (الرئيس الحالي) ليضع خططًا جديدة))[٩].

لا يتوانى باسم فرات في نقدهِ أو سرده لنظام الآخر السياسي من إبداء رأيهِ وتسجيل إعجابهِ به، يقول في حديثهِ عن حكومة راوندا التي تشكلت في المنفى (الكنغو)، والتي عُدّت أول دولة في العالم تأسست هناك بلا أرض ولكن لديها شعبًا من اللاجئين تتحكم بقوت يومهِ عبر سيطرتها على المساعدات التي تصل إليه: ((وهذا التطور الحاصل في رواندا هو محط إعجاب الجميع لكن بالنسبة لي بوصفي عراقيًا أنظرُ نظرتين له، نظرة الإعجاب مثل بقية الناس والشعوب والمجتمعات والدول لهذا البلد الصغير، ونظرة العراقي الذي يتألم لما جرى ويجري في وطنه، متمنيًا أن يرتقي المجتمع العراقي والمسؤولون فيه إلى ما وصله مجتمع رواندا ومسؤولوه من وعي حيث الإيمان بأن تطوير الإنسان والارتقاء بوعيه وشعوره بالمسؤولية واخلاصه بالعمل تجاه وطنه تُعد أهم صفات الحكومة الراوندية الآن))[١٠].

ومع هذا فإنّ باسم فرات لا يتوانى من نقدهِ للآخر (الحاكم) واتهامه بالتقصير في وقت المجازر وغيرها من الأعمال البشعة التي حدثت في رواندا في سبتمبر ١٩٩٩(البلد المرتحل إليه)، يقول: ((أقرت الأمم المتحدة ضمن تقرير لها عن الإبادة الجماعية في راوندا بتقصيرها في وقف المجزرة المليونية، رغم وجود ٢٥٠٠ جندي تابع لها، بدلًا من جعلهم يؤدون واجبهم بحماية العُزّل أجلتهم كأنّهم ضحايا عُزّل، كذلك لم تقم بواجباتها الإنسانية المنوطة بها، لكن هذا الإقرار بالتقصير لن يعيد أرواح مليون ضحية لن يعيد للفتيات اللواتي تم اغتصابهن كرامتهن وشعورهن بالأمان))[١١]، وهكذا استطيع أن أقول ان خطاب باسم في كثير من الأحيان وهو يواجه الآخر يتحول من خطاب رحال الى خطاب ادانة واضحة للسياسات القذرة في العالم.

ثانيًا: بناء المدن والمرافق العامة الأخرى (المعابد) وغيرها:

صَوّرَ الرحال كثيرًا من المنافع العمرانية من حيث بناء المدن والأبنية العامة والمشاريع المنجزة خدمة لساكني البلاد والمسافرين لها، واللاجئين لها، وعرضوا بعض التفصيلات العامة الأخرى مثل تكلفة البناء ومدة إقامتهِ ومدى استفادة الناس من تلك المنافع وغيرها من الأمور التي أثارت اهتمام الرحالة[١٢].

ومَنْ يتتبع رحلات باسم فرات يجدها زاخرةً بهذه الأمور التي تخص الآخر، فقد وصف المكان أو المدينة المرتحل إليها وصفًا دقيقًا، تشعرنا طريقته وكأننا نعيش فيها معه، أو ملازمين ورفقاء لهُ في رحلاتهِ.

١- بناء المدن:

قدّم باسم فرات في أغلب الرحلات مدن الآخر، ووصفها وصفًا دقيقًا، مبيّنًا ماهية هذا التجمُع (مدينة، قرية، قبيلة)؛ ولكنهُ فضلًا عن وصفه للمدن، لا يتوانى؛ بل ويكرر إعجابه بالآخر المتوطن لها، يقول عن

اليابان عامة وهيروشيما خاصة، هذا البلد الذي كان أول بلدٍ وصله اختياريًا وليس إجباريًا يقول: ((ثلاثة أعوام أعدها أجمل أعوام حياتي، وبلا شك ثمة أسباب أخرى منها انبساط مدينة هيروشيما، وأنهارها الستة وقربها من البحر ومن الجبل، أي سهولة المشي، أو ركوب الدراجات الهوائية فيها، فضلًا عن نظافتها التي يتولى شأنها أهلها، كنت أنهضُ صباحًا وأرى الناس أطفالًا وشبابًا وكهولًا وشيوخًا وعجائز يحملون مكانسهم وأدوات التنظيف، فينظفون كل ما هو عام أي شوارع الحارة وأزقتها وأرصفتها وحدائقها ويضعون الأوساخ وهي قليلة جدًا في حاوية أوساخ الحارة في حقائب بلاستيكية معقودة بشكل جيد))[١٣].

ويبدي الرّحال باسم فرات إعجابه الكبير بـ(الآخر) الياباني ومدينته، عاقدًا موازنة بينهما وبين بلد آخر ارتحل إليه (لاوس) يقول: ((يجهدُ الياباني في خدمتك، وكأنه يرى في هذا متعتهُ وواجبه في الوقت نفسه، بينما اللاوي يختلف عنهُ، فهو مجبول على الرِّشا، فضلًا أن تقاطيع الوجه عند الياباني تشي بمحبة وسعادة، بينما هذهِ التقاطيعُ عكسها عند اللاوي، بل والفيتنامي والصيني، أي أنني لاحظت أنّ الدول الشيوعية في وجوه موظفيها تقطب وجدية تعطي شعورًا للآخر بعدم الإحساس بالأمان))[١٤].

إنّ هيروشيما عند باسم فرات من المدن التي تَعرّت وبكامل عريها دخلت ذاكرته وقلبه، وزرعت نجومًا في ليله الطويل، وعلى الرغم من الوجع الذي كان يعتصره إلا أنّ هذهِ المدينة فتحت دفترًا جديدًا من دفاتر رحلاتِهِ، يقول: ((وبدأت أدوّن حياة سيكون لها شأن في نكهتها وغرائبيتها وتنوعها ودهشتها، حياة مبنية على الاختلاف والمغامرة بدءًا من القراءة والكتابة والترحال والوعي، وفيها بدأت أمسك بخيوط أسئلة حاصرتني طويلًا، وأهمها أسئلة الهُوية والتنوع وكيفية معالجة سرديات المجموعة اللغوية غير العربية في منطقتها ومحاولة تلاقي أساطيرها المؤسسة للكراهية والمظلومية))[١٥]؛ فالمتخيّل العام هنا هو إبراز السرد في بيان ناصع يحدد صورة المتخيّل لهيروشيما اولا وحلول الرحال بها ثانيًا.

وفي مقابل ذلك الوجع تتلبّسُ السعادةُ باسم فرات حينما كان متوجهًا إلى مدينة (أوكلاند)، يقول واصفًا إياها: ((ثمة حزنٌ يكتنفك هو صديقك الأقرب، لا يغادرك تمامًا حتى في أكثر اللحظات فرحًا، كنتُ متلبسًا بالسعادة حين راحت طائرة الخطوط الجوية الصينية، تحلق في السماء وأرض أوك (أوكلاند) أكبر مُدن زي الجديدة (نيوزلندا) أصبحت بعيدة تلك الخضرة تقبعُ في عُزلتها وسط المحيط الهادئ))[١٦]، تلك السعادة تتحول إلى شعور بالتحفز أمام المجهول في رحلة باسم فرات من هيروشيما إلى لاوس: ((كانت الطرقات مليئة بالحفر وتبليطها سيءٌ للغاية، وبعضها غير مُبَلَّط، وكان الشعور بين أول وصولي إلى هيروشيما وأول وصولي إلى فِيلتان مختلفًا تمامًا، في هيروشيما كانت فرحة تسكنني، بينما في فِيلْتان تحفزٌ أمام المجهول، والمفارقة كانت أنني دخلت المدينتين في ذات التاريخ والوقت، أي في الحادي والثلاثين من تموز/ يوليو ليلًا والفارقُ في الأعوام))[١٧].

ومدينة الآخر ببيوتها تحيل باسم فرات على الموازنة بينها وبين مدينته، يقولُ عن ليما عاصمة البيرو: ((ليما تشبه بغداد، لكن بلا تفجيرات ومفخخات وسيطرات لا حصر لها، فحين دخلت المدينة كانت بيوتها تقولُ لي انظر كم أشبه بغدادكَ التي لا تغادر أنفاسك بيوتها بحدائقها، لكن الحدائق العامة أكثر، والمتاحف أيضًا، والحريات الشخصية أوسع))[١٨] ونتيجة الموازنة تحيل دائمًا على عين باسم التي ترى كل شيءٍ.

٢- المعابد وغيرها التي حظيت بعناية باسم فرات:

لقد زخرت رحلات باسم فرات بوصف المعابد والكنائس وغيرها من دور العبادة لدى الآخر، مبينًا تفصيلات كثيرة، وغالبًا ما يبين أو يحدد نوع الديانة وماهيتها لدى الآخر من خلال حديثه عن المعابد والكنائس وغيرها، يقولُ في وصف معبدٍ من معابد لاوس: ((تدخل المعبد فيكون دخولك من بوابة صغيرة عادة فيها النقوش التي تشبه العناقيد، أعني زخارف عنقودية أو معقدة، تصل إلى القاعدة فترة أن أعلى (تيجان) الحيطان مُزخرفة بذات الزخرفة التي في البوابة، وعندما تهم بالصعودِ؛ إذ عادة عليك أن تصعدَ عدة درجاتٍ، فتجد على يمينك ويسارك الأفعى الأسطورية (ناغا) برؤوسها الخمس أو السبع، وهي التي ظللت بوذا، تدلف إلى داخل المعبد وإذا الجدران الداخلية والسقف عبارة عن صور تمثل حياة بوذا وأفعاله))[١٩].

ويوضح باسم فرات أن معابد الآخر قد استغلت اقتصاديًا في فينتان(عاصمة جمهورية لاوس)، مما جعلها مصدرًا لجذب السياح الأجانب، ومن ثم فهي ثروة كبيرة: ((إن المعابد المنتشرة في العاصمة وفي عموم البلاد تُعد بحق ثروة كبيرة فآلاف المعابد تجلب سنويًا آلاف السياح إلى هذا البلد الذي فيه متوسط الرواتب الشهرية ستون دولارًا أمريكيًا حينها (الآن أصبحت كثير من الرواتب تصل إلى مئتي دولار شهريًا)))[٢٠].

وباسم فرات متصالح مع ذاتهِ حينما وَثَّقَ خطابَهُ السردي من معابد الآخر، سردًا يقوم على التصالح والتسالم مع ذاته ومعهم، يقول في رحلته إلى الإكوادور وتحديدًا إلى مدينة (بولو لاهوا) التي تبعدُ عدة مئات من الأمتار معبد الشمس، يقول: ((لم تكن عبادة الشمس غريبة عليّ، فإن سليلها، منذ بزوغ نجم سلفي العظيم حمورابي حين قدّم شرائعه للإله الشمس، فهي تستفزني كي أبحه عن كُنه هذهِ العبادة العتيقة، واليوم الأحد الرابع عشر من نيسان ٢٠١٤، زرتُ هذا المعبد الكبير والذي مررتُ بهِ سابقًا، ولكن زيارتي له لم تتحقق إلا اليوم))[٢١].

ثم يستمر باسم بوصف معبد الآخر مُتأملًا جماله مثل فاتنة تستعرض أنوثتها... ((دخلنا المعبد وهو ليس بعيدًا عن خط الاستواء إن لم يكن على الخط مباشرة ودائرية المعبد تعود لأنهُ يُمثل الشمسَ على الأرض، ويتكون من طوابق عديدة تتخللهُ فتحة في الوسط تسمح للشمس بالدخول وفي وسط أرضيتهِ حفرة دائرية، كما يحوي المعبد على تمثالي الامبراطور الإنكي وزوجته الكيتوية (الإكوادورية) مما ذكرني بزواج الملوك والشخصيات المهمة لحفظ الأمن والاستقرار ونجاح المُلك))[٢٢].

ويثيرُ باسم فرات في حديثه ووصفه لمعبد الآخر وتحديدًا (كاتدرائية الملح) في كولومبيا، أو يكشف عن أكثر الأسئلة التي تؤرقهُ، يقول: ((أعلم أن ثمة مَنْ سيضع هذهِ العبارة أو العنوان موضعًا في أحسن حالاته هو أقرب لكلام شاعر، رغم أن أكثر سؤال يُؤرقني هو: هل أنا شاعر، رائحة الملح هذا اليوم في كاتدرائية الملح شممتها، نعم كاتدرائية في منجم ملح، هذا المنجم الواقع تحت تلةٍ في بلدة سيياقيرا، وهي بلدة أطلقت عليها تسمية الزرقاء، فاللون الأزرق في كل مكان، وكأنه رمز المدينة أو حرزها أي تميمتها طرزها المعمارية بين العمارة العربية والأوربية))[٢٣]، وفي الوقت نفسه لا يتوانى عن إبداء رأيّه من حيث استحسان هذه الكاتدرائية، والتصريح بأن الأديب غابريل ماريكز هو أعجوبة كولومبيا الأولى، يقول في وصفه للكاتدرائية نفسها: ((وأجمل ما فيها أسواقها ومطاعمها بطرازها المعماري العربي وباللون الأزرق الذي يُلوّن شرفاتها وشبابيكها وأبوابها بما في ذلك بيت الشاعر غيجَرْ موقَفَدو (١٨٨٦-١٩٦٤م) الذي نبتت في فضائهِ وبالأدق حوش البيت، نباتات شتى قيل إنها لا تنبتُ إلا على قبور الشعراء والعشاق وفي الأماكن التي يحبونها، وكتبوا قصائدهم أو قَبّلوا حبيباتهم فيها، كاتدرائية الملح لا تبعد عن

بيت الشاعر سوى عدة مئات من الأمتار، وهذه الكاتدرائية العجيبة تحت الأرض ١٨٠م، تتكون من عدة طوابق، هي متاهة))[٢٤].

ويسترسل باسم فرات بخياله الواسع هل كتب غابريل مركيز عن هذه الاعجوبة يقول: ((هذ المتاهة العجيبة والمدهشة تعدُ عجيبة كولومبيا الأولى، لكنني سأبقى أؤمن أن غابريل ماركيز هو عجيبة كولومبيا الأولى على الرغم من الفارق بين البشر والأرض))[٢٥].

وقد يركز باسم فرات في حديثه عن كنائس الآخر على مؤسسها وتاريخه وبعضًا من صفاتهِ، يقولُ عن كنيسة راثنا: ((كنيسة راثنا: مؤسسها تاهوبو تيكيوير مو راثنا، وُلد في الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني ١٨٧٣، عندما مرض ابنه صام وصلّى وتعبّد واستلم رسالة سماوية في الثامن من شهر تشرين الثاني ١٩١٨ أخبر عن طريق الوحي أو الرؤيا أنْ يوحد الماوريين، وأن يداوي الناس بقدراته الروحية الخارقة، ويجعلهم لا يخشون من شيء كالإخفاق والتشكيك بقدراتهم، ولا يخافون الآلهة، أصبح (تاهوبو تيكويز مو راثنا) حديث الناس وتوافدهم إليه يزداد يومًا بعد آخر، وتحول المكان الواقع أمام مزرعته مُخيفًا لطالبي الشفاء، بعد أن تمكن من شفاء أبنه وعدد من الناس، وأصبح مشهورًا بوصفه شافيًا من الأمراض))[٢٦].

ويستحضر باسم فرات في حديثِهِ عن كنائس الآخر الأئمة (عليهم السلام)، ومدينته كربلاء المقدسة موازنًا بين معتقداته ومعتقدات الآخرين، مُبديًا أوجه الشبه، والاختلاف، يقولُ عن القدّاس الذي أقيم في كنيسة القيتشة الفخمة في بلدة قيتشة الإكوادورية: ((تساءلتُ مع نفسي في أثناء القدّاس، هل أنا في كربلاء؟ أم هو الحنين يجعلني ألوي عنق ما أرى ليكون شبيهًا بمدينتي، هل هي قراءتي أم أنها حقيقة، فالمؤمنون يقومون بحركات تشبه ما يجري في كربلاء، يتضرعون ويرفعون أيديهم للسماء سائلين من يعتقدون بهِ أن يحقق لهم ما يبغونَ أو أن يبعد عنهم المرض والعوز والحاجة، التشبث بشبابيك وأبواب، صلوات وقراءات رجل الدين الذي يشبه إمام الجامع أو القارئ يقرأ ويصلي على الماء))[٢٧] إن رحلات باسم فرات هي رحلات كشف، واستنباط لكثير من الأفكار، ولعلَّ أهمها صورة الآخر التي رآها عن قرب.

٣- المتاحف والمتنزهات:

إنّ ما يتوافرُ في بلادِ الآخر من أماكن التنزه والترفيه وغيرها من الأمور التي تتصل بالجوانب الحضارية وأشكال التطور عند الآخر، قد أتاح الفرصة أمام الرحالة إلى تسجيل ما صادفوه، واصفين إياها أمّا وصفًا مقتضبًا، أو وصفًا مطولًا[٢٨]، كالذي اعتمده باسم فرات في أغلب حديثِهِ عن الآخر لهذا الجانب ولغيرهِ، ففي رحلته إلى متاحف الإكوادور تركت هذه الرحلةُ الغُصَةَ بذاتهِ؛ لأن في بلدهِ العراق لا متاحف، يقول: ((في العاصمة كيتو التي تنشرُ فيها المتاحف بأنواعها وعددها تسعة وثلاثون مُتحفًا، والتي استغرقت مني مدة زمنية لا بأس بها حتى استطعتُ زيارتها، ومع المتعة المعرفية والثقافة البصرية التي حصلتُ عليها منها، لكن هذه المتاحف تركت غصةً في نفسي؛ لأنّنا ليس لدينا متاحف مثلها في مدننا العراقية والعربية والتي يمكن وبسهولة إنشاء أكثر من عشرين متحفًا في كل مدينة، وربما ضعف هذا العدد في العواصم ذات التاريخ المتنوع مثل بغداد، ودمشق، والقاهرة، وبيروت))[٢٩].

ويستحضر باسم فرات بلدهُ العراق في حديثِهِ عن متاحف الآخر، يقولُ عن زيارته لمتحف (ياكو) في كيتو عاصمة الإكوادور: ((أول معلومة عرفتها عن هذا المكان أن هذا المكان هو في الأساس محطة

تحلية وخزان مياه يمدُ كيتو أو جزءًا منها بالماء الصالح للشرب منذ تأسيسها عام ١٩١٣م، مازالت المحطة تعمل رغم مرور مائة سنة، وفي السادس من كانون الأول ٢٠٠٥م تم افتتاح المتحف والمتنزه، واسمه هو متحف ياكو، وياكو تعني ماء بلغة الكيتشوا))[٣٠]، ويستمر باسم بعقد موازنة بين بلده والبلدان المرتحل اليها يقول: ((خرجت من المتحف وأنا أردد كعادتي ماذا لو لدينا متحف للماء يحكي لنا عن فوائد الماء وعملية التطوير من السقّاء الذي كان يلف على البيوت إلى الإسالة وما تستطيع أن تتفتق به عقلية الفنانين والمهتمين بالبيئة وذوي الاختصاص مع الاستفادة القصوى مما وصلت إليه الأمم الأخرى في صناعة المتاحف، فهي صناعة تدرُ على البلادِ الكثير))[٣١]، فالمتاحف عند باسم فرات هي صناعة يتعمد الآخر تصنيعها لغرض ثقافي واقتصادي أيضا.

ونجد العراق مستحضرًا عند باسم فرات في حديثِهِ عن متاحف الآخر، مُفْصِحًا عن رأيه في مَنْ يرى في تعدد اللغات والقوميات في العراق مدعاةً للإفتاء بأمورٍ مسيئة عنهُ، يقول في وصفه لمتحف مدينة بوغوتا عاصمة كولومبيا: ((متحف الملابس والأزياء كان محطتي الرابعة، ويحوي قطعًا قديمة للغاية من الأقمشة وأزياء مناطق كولومبيا جميعها، وبعض الأزياء القديمة، من خلال الأزياء يتم التعرف على اختلافات الشعب الواحد، والتي تعد طبيعية للغاية مع تنوع اللغات والأديان والمذاهب وطبائع القومية الواحدة لمجرد اختلافات بين منطقة وأخرى تحت تأثيرات متنوعة منها جغرافية ودينية ومذهبية أو مجاورتها لفئات لغوية، وعرقية مختلفة))[٣٢] الوصف هنا متشعب وملم بالتفاصيل.

ويستمر باسم فرات بوصف المشكلة التي يعتقد المجتمع العراقي انه المجتمع الوحيد الذي يضم مختلف القوميات والمذاهب واللغات يقول: ((واعتز بعادتي التي ربما تكون سيئة، وهو أنني أتذكر بألم مَنْ يجهل تاريخ العراق وبقية أوطان خلق الله فيفتي بأمور مسيئة للغاية من مثل أن العراق متعدد اللغات والقوميات والخ، وكأنه الوحيد بين دول العالم، غامرًا بحس طائفي، البلدان العظيمة هي الأكثر تزاوجًا وتعددًا؛ لأنها محط هجرات لتميزها وفرادتها وثرائها))[٣٣].

ويتصف وصف متاحف الآخر عند باسم فرات بالإطالة والإسهاب، وهذا مما يؤكد إيمانه بأنَّ أدب الرحلة هو وجه من وجوه التعبير عن الآخر وعن الذات وبشكل واضح وجلي، انطلاقًا من رؤية تظهرُ حينًا وتختفي حينًا آخر في تضاعيف السرد والوصف والتعليق، تتضح فيه ذهنية الرحالة ووعيهِ الثقافي[٣٤].

يقول في وصفه متحف مدينة كوتشاسقيا لإكوادورية مبينًا أدق تفصيلاته في تضاعيف هذا الوصف أن الفطرة الإنسانية جعلت كثيرًا من الأمور متشابهة بين الآخرين، مسترجعًا من خلال هذا الوصف طفولته، يقول: ((في المتحف الملاصق للبوابة الرئيسة، وهو ليس كبيرًا، قاعة طولها لا يزيد على اثني عشر مترًا وعرضها نحو خمسة أمتار، رأيت الهيكل العظمي المتبقي من الجثة التي وجدوها في القبر الأنموذج، وهي في حالة القرفصاء كما أسلفت، كما رأيت فخريات بعضها ملونة وذات صنع متقن، حتى كأنها صُنعت في يومنا هذا، وثمة مسامير صخرية وهي ذاتها المعروضة في أرضية التقويمين الشمسي والقمري، هكذا أخبرتني الأميرة كويلاغو))[٣٥].

ويستمر باسم في وصف لعبة تقليدية موجودة في منطقتنا العربية، هي لعبة الدوامة وتُسمى في العراق (المرصعة) يقول: ((كيف وصلت هذهِ اللعبة إلى هنا هكذا، سألت نفسي لأراجعها مؤنبًا على التفكير

العنصري والإقصائي، كأنما لا يمكن أن يكون العكس مثلًا، أو أن الفطرة الإنسانية جعلت الكثير من الأمور تتشابه، أخلاقيات وطرق معيشة ولهو وبراءة الطفولة وبعض الصناعات))[٣٦].

إنَّ الفضاء السردي عن الآخر يتسع عند باسم فرات ليشمل الزمن السردي؛ بوصفهِ ملازمًا لهُ؛ ولأنه يتأسس في لحظة سياقية لها أهميتها وخصوصيتها تتداخل فيها التعالقات، وتتشابك ليبقى المعمار على مر الزمن شاهدًا على تلك الأحداث ومؤرخًا للعبور الإنساني في ذاك المكان وفي ذاك الزمن، بعد أن ترك بصماته التي لن ولم تضيع مادام ذاك المعمار حاضرًا وصامدًا أمام عوامل التعرية[٣٧].

وهذا ما يتضح في أغلب زيارات باسم فرات لمتاحف الآخر، يقولُ عن زيارته للمتحف الوطني في ليما عاصمة البيرو: ((في اليوم التالي زرت المتحف الوطني وهو كتل خرسانية (كونكريتية) لم يتم إخفاء رماديته وفيه تعرفت على حضارة البيرو، ومن خلال الخزف والفخاريات ومراحلها التاريخية – وبعضها كما في الإكوادور والعراق ومصر وغيرها من البلدان – تشعر بحرفيتها العالية وكأنها صُنِعت في العصر الحديث))[٣٨].

وتثير متاحف الآخر عندهُ مجموعة من التساؤلات منها: كم نحتاج من الجهود لنتمكن من كشف حقيقة العلاقات التجارية القديمة التي سبقت دخول الأوربيين للعالم الجديد؟ كما في زيارته لمتحف أماتو في البيرو: ((ختمت رحلتي بزيارة متحف (أماتو) وهو متحف أسسه ياباني ومازالت أسرته بعد وفاته تقوم بإدارته، تقف أمام جهود هذا الرجل شاكرًا لهُ صنيعه لما قدّمه، ليس للبيرو فقط، بل للعالم، متحف وجدت ضمن مقتنياته تمثالًا يمثل عربيًا، إضافة إلى تماثيل لأعراق شتى تدل على علاقات تجارية لسكان المنطقة منذ القدم مع العالم، جعلني هذا التمثال أتساءل: كم نحتاج من جهود لكشف حقيقة العلاقات التجارية القديمة والتي سبقت دخول الأوربيين للعالم الجديد؟))[٣٩].

إنّ ثقافة الرحال في النص الرحلي تتفاعل معه وتتداخل أبنيتهما في سياق واحد وتنبثقُ منهُ أنساق ورؤى ثقافية، ومن هذا المنطلق فإن النص الرحلي يعدُّ ظاهرة ثقافية، متضمن في خلاياه تركيبًا نسقيًا من العادات والتقاليد والمعتقدات، ومتأثر بمحيط الآخر، ومؤثر في الرحالة نفسهِ، وبذلك يظلُّ النص الرحلي في حالة دفاع عن كينونته ووجوده بالاستمرارية لكونهِ جزءًا من الثقافة بعدها ذاتًا وذاكرة ووعيًا حقيقيًا وشعورًا جمعيًا، مما يعني في النهاية أن النص الرحلي يمنح من المكونات الأساسية للثقافة ما يؤسّس بهِ تميّزه[٤٠].

فعند زيارة الرحال باسم فرات لمتحف أرض أوك (أوكلاند) شعرَ باللوعة والألم لتذكرهِ بأنَّهُ وأجدادهُ غزاة وليسوا عريقين في العراق: ((كانت أول مرة أرى فيها آثارًا عراقية في زي الجديدة، عندما كنت في مركز اللاجئين ومن ضمن المنهاج زيارة إلى متحف أرض أوك (أوكلاند) كانت مفاجأة محزنة لي، وأنا أقف أمام آثار أسلافي، فهي في كل مكانٍ نهبًا للجميع، وكان الشعور في متحف أرض أوك فيه لوعة، فأنا متهم من قبل طائفة عراقية بأنني غازٍ ولستُ عريقًا في العراق، ولا أملك تاريخًا حضاريًا، في حين أنَّ هذه الأرض أرضي التي لم أكن أعرف سواها، ولم يغادرها يومًا أبي ولا جدي، ورُبّما عشرات الأجيال من آبائي وأجدادي لم يغادروا العراق))[٤١].

وفي حديثه عن (مثلث التمدن) عند الآخر (المكتبة والمتحف والمتنزه) يُشخص باسم فرات ضعف ثقافة المتاحف في بلدهِ العراق، وهذا الضعف هو العِلّةُ الأساس في تطرُفِ بعض الكُتّاب حول مزاعم متناقضة الحقائق، تاركينَ إياها باتجاه الأهواء والأوهام، يقول مقارنًا بين ثقافة المتاحف عند الآخر وعند أبناء

وطنهِ، يقول في زيارته لأحد المتاحف في زي الجديدة والذي بناهُ أحد السكان الذي شارف الثمانين: ((متحفه أكثر ثراءً من متاحف عديدة، رأيتها في بلدات زي الجديدة، ففي كل مدينة وبلدة زرتها في أوثاروا لابُدّ من وجود مثلث التمدن الأهم، المكتبة والمتحف، والمتنزه، لم أذكر المدارس؛ لأن مدننا تحوي على مدارس، وإن كانت بائسة، ولكنها تفتقر للمتاحف وللمكتبات والمتنزهات قياسًا بعدد المدارس، في مدينتي التي من المفروض فيها أكثر من عشر مكتبات عامة))[٤٢]. يرى باسم فرات أهمية المتاحف في كل مكان وإنها ليست معجزة أو عملًا خارقًا.

إن عين باسم فرات وهي تجوس متاحف الأخرى تسجل أصغر التفصيلات وأدقها، ذلك لأنها عين فنان، وشاعر، ورحال أيضًا فهذه الصفات مجتمعة تجتمع في تلك العين الراصدة.

ثالثًا: مكونات المجتمع الآخر عند باسم فرات:

تنطلق الرحلة في الآفاق الإنسانية، للدخول إلى عمق المجتمعات المرتحل إليها، والتعايش فيها لمُدد طويلة، فتتولدُ لدى الرحال حقائق أو معطيات متباينة حول تلك المجتمعات المرتحَّل إليها وهذهِ الحقائق أو المعطيات تتباين تبعًا لعوامل متعددة منها، طبيعة المجتمع ونوعه الذي دخلوه في أثناء الرحلة، ومنها الثقافة التي تنتمي إليها تلك المجتمعات أو الثقافات التي تتميزُ بها، ومن هنا تنوعت أشكال تصوير الآخر من حيثُ الإجمال والتفصيل لدى الرحالة على اختلاف العصور[٤٣].

ونبيّن هنا مكونات المجتمع كما صورها الرّحال باسم فرات وعلى الشكل الآتي:

١- المرأة:

موضوع المرأة من الأهمية بمكان؛ لذلك انبرى له الباحثون بُغية رصد خطاب الرجل في توصيف المرأة، ورصد موقفه منها ووجهة نظره حول مكانتها في الحياة العامة، أو الحياة الأدبية وغيرها[٤٤].

وقد كان باسم فرات راصدًا لها من خلال المضامين الآتية:

أ- قيمة المرأة عند الآخر:

حرص باسم على بيان قيمة المرأة عند الآخر في أغلب رحلاتِهِ، ففي رحلته إلى لاوس بَيّن أن المرأة أقل مرتبة من الرجل في البوذية، يقولُ: ((في البوذية المرأة أقل مرتبة من الرجل، تقعُ خلفه، لكن في القطاع الخاص نساء كثيرات يعملْنَ، وقد لاحظت عددًا كبيرًا من النساء يملكن دكاكين لبيع الخضروات والفواكه، أو يعملن في محلات القصابة (تقطيع وبيع اللحوم)، ونساء يملكن عربات يبعن الخضراوات والفواكه أو مواد أخرى، كنتُ زبونًا دائمًا لهن، فهُنَّ في الحقيقة مناضلات يعملن من أجل إعالة أسرهُنّ في القانون اللاوي، بوصفه شيوعيًا، المرأة والرجل متساويان ولكن ما هو موجود على الورق يختلف عما موجود في الواقع))[٤٥].

وفي مقابل هذه النظرة، يُبين لنا باسم فرات المكانة المرموقة للمرأة الشاعرة في الأدب الياباني، يقول عن الإرث الثقافي الذي تركته الشاعرة ((إيزومي-شيكيبو): ((لقد تركتِ الشاعرة (إيزومي-شيكيبو) في سجل قصائد الحب نصوصًا نلمس فيها حقًّا الموهبة الخلاّقة، وقد كُتِبت في إطار شكل (القصيدة اليابانية الموجزة) – أي شكل (الواكا) أعمالًا عديدة لم يقدر على مجاراتها شعراء العصر نفسه من الرجال والنساء أعمالٌ تطغى عليها سوداوية عميقة ورؤى فلسفية حول الكائن البشري)) ويرسم لنا باسم فرات

شخصية الشاعرة عن طريق أعمالها الشعرية وهو يستذكر الخنساء تلك الشخصية المعروفة. ((وذكرتني بالخنساء التي سبقتها بعدة قرون وكانت منافسة قوية لشعراء عصرها وعلى الرغم من مرور أربعة عشر قرنًا على ظهور الخنساء ولكن لا أحد يستطيع أن ينكر شاعريتها الفذّة ومكانتها المهمة في الشعر العربي القديم))[٤٦].

٢- الشاعر:

تحدثَ باسم فرات في أغلب رحلاتهِ عن الشعر والشعراء للمدن والدول التي ارتحلَ إليها، خاصة وهو أي الشعر ((الذي نذرتُ حياتي لهُ لا يمكن أن أضعهُ جانبًا حينما أقرأ أو أكتب، حالة واحدة اضطر فيها إلى ذلك هي في البحث))[٤٧].

ومنهجهُ في الحديث عن الشعر والشعراء قائمٌ على إعطاء مقدمة مطولة عن الشاعر وتاريخهِ، ففي ترجمته للشاعر الاسكتلندي سكوت لويس، يقول: ((كان لويس سكون كريمًا معي، وهو رجل يكبرني بعشرين سنة شارك في حرب فيتنام حينما كنْتُ جنينًا، وحين أنهى خدمته العسكرية تَمكّن من الحصول على منحة دراسية، لكن تجربة الحرب جعلتهُ يستاء من سياسة بلاده الظالمة بحق الشعوب بحسب تعبيره، وبعد إتمام الدراسة غادر البلاد، وتنقل بين بلدان عديدة قضى مدة في لندن وباريس وأثينا وأستراليا؛ ليستقر به المطاف منذ عام ١٩٧٥ في زي الجديدة، إذ عاش لوقت من الزمن في أكبر مدنها وهي أوكلاند، ثم انتقل إلى العيش في العاصمة ولنغتْن، وافتتح محله المشار إليه أعلاه، شاعر شغوف بالسفر والمطالعة وينشر عروضًا للكُتب ومقالات أيضًا))[٤٨]. ويستمر باسم فرات يسرد الشخصية وأثرها عليه بين الحقيقة والمتخيّل السردي في وقت واحد.

ويربط باسم فرات في حديثهِ عن الشاعر والقاص التونسي علي الدوعاجي، وبين الشاعر بدر شاكر السياب، يقول: (((السياب وعلي الدوعاجي) كلاهما يُعد رائدًا وغزيرًا في إنتاجه، وكلاهما عانى اليُتم المبكر، سوى أن السياب أكمل دراسته الجامعية بينما لم يكمل علي الدوعاجي الابتدائية، وكان يعمل في معمل نسيج، استطاع أن ينحت نفسه في الصخرِ، ونهل من الثقافة العربية والفرنسية والإنكليزية))[٤٩].

وفي حديثه عن الشاعر الأرجنتيني (خوان خليمان) (١٩٣٠ – ١٤ كانون الثاني ٢٠١٤م)، بَيّن باسم فرات أنهُ الشاعر الذي حمله إلى عوالم الشعر مع جهلهِ للغتهِ مُعجبًا بتربعه على عرش الشعر الأرجنتيني، يقول: ((كانت قراءاته قد استغرقت وقتًا أطول من بقية الشعراء، ولم لا فهو خوان خليمان، وهو نجم المهرجان الأول، شاعر يحملك إلى عوالم الشعر، حتى وأنت تجهل لغته كما حدث معي، ألم يكن هو نفسه يجهل قصائد الشاعر الروسي بوشكين حين كان يترنم أخوه بها وكان الأخير مجنونًا بالشعر))[٥٠].

وإذا كان خوان خليمان متربعًا على عرش الشعر الأرجنتيني فإن غابريل غارسيا ماركيز من أعظم أنهار أمريكا الجنوبية، وهو رمز كولومبيا ومفخرتها عند باسم فرات، يقول: ((ما رأيته في العاصمة الكولومبية في بوغوتا أن ماركيز كان حاضرًا بقوة، صورهُ في كل مكان، معارض عنه بعضها على جدران البيوت في الشوارع أُعدت بشكل بسيط لكن بمحبة عالية، شعرت أن الراحل الكبير يعدُ رمزًا للبلادِ مفخرةً، بما تعنيه الكلمة وليس مجرد كلام عابر))[٥١].

مكانة غابريل وحفاوته عند الكولومبيين دعتهُ إلى مقارنة هذه الحفاوة مع جنازة السياب، يقول: ((هذا المشهد الذي كنتَ شاهد عيان على نهايتهِ، أجبرني أن أتذكر جنازة السياب أحد مؤسسي حركة الشعر الحديث، فلم تكن جنازته بائسة والمطر يزيد المشهد أسىً فقط، بل وجور عائلته مطرودين من قبل شركة النفط التي كان يعمل فيها بحجة انتهاء إجازاته، وبين فترة وأخرى يخرج علينا مَنْ يُشكك بالسياب رافضًا وضعه في سياقه التاريخي))[٥٢].

هذهِ الموازنة تكررت مرةً أخرى في حديثه عن المتنبي، والشاعر الياباني (ماتسو باشو ١٦٤٤-١٦٩٤م) الذي أُقيمَ له مقامًا وصفه باسم فرات بأنه (متنبي الشعر الياباني)، يقول: ((المكان الذي وقفت أمام شباكه كان أو أنني تخيّلته مقامًا لمتنبي الشعر الياباتني (ماتسو باشو) (١٦٤٤م-١٦٩٤ ميلادية)، هذا الشاعر الذي تصارع أهميته في الشعر الياباني أهمية أبي الطيب المتنبي (٩١٥-٩٦٥ ميلادية) في الشعر العربي، أي أنه وُلِد بعد ولادة أبي الطيب المتنبي بسبعمائة وتسعة وعشرين عامًا وكلاهما عاش نصف قرن بالتمامِ والكمال، هل لهذا الاتفاق بالموت بعد إتمام خمسين عامًا ما يُسوّغهُ؟))[٥٣].

وقد تكون قصائد الشاعر الآخر التي كشفت عن انتحابهِ بدموع من دمٍ مُعبرة وبصدقٍ حاد عن رجل مدان بجريمة لم يرتكبها تجعله عند باسم فرات الشاعر الكبير الذي يعرفه يقولُ عن الشاعرِ الياباني ميتشيزاني الذي عاش ما بين سنة ٨٤٥م وتوفي سنة ٩٠٣م: ((إن القصائد التي كتبها خلال منفاه انتحاب بدموع من دمٍ، إنّها تعبرُ بصدق حادٍ عن رجل مُدان بجريمةٍ لم يرتكبها وبفضل هذهِ الأعمال الأدبية صار (ميتشيزاني) الشاعر الكبير الذي نعرفهُ في الحادية عشرة من عمره كتب قصيدة أثارت دهشة أبيه وبعد سنوات أصبح دبلوماسيًا وهو في ريعان الشباب، حازَ على لقب دكتور في الآداب وعمره ٣٢ عامًا، وهذا أمر نادر في ذلك العصر))[٥٤].

يحتفي باسم فرات بالآخر الشاعر فيصفهُ بأوصاف من نحو ((حنكة شاعر عركتهُ القرون)) وكذلك بقولهِ ((شيخي الجليل الشاعر))، وفي حديثه عن الشاعر ((ماتسوو باشو))، يقول: ((وحين كان يحدثني شيخي الجليل الشاعر ((ماتسووباشوو التفت لي وقال: إنها تشبه مكّة المكرمة عندكم، وأردف أعلم أن هذا يُثير حفيظتكم، فأنتم تنظرون لليابانيين بوصفهم مشركين ولا يجوز عندكم تشبيه قُدسَ أقداسكم مكة المكرمة بعاصمة البوذية في اليابان)).. عند ساقية في احدى حدائق القصر الامبراطوري، أخبرني شيخي الشاعر (ماتسوو باشو) بأن الشاعر والخطاط كلاهما كانت لهما مكانة كبيرة في المجتمع الياباني))[٥٥].

ثانيًا: الأنا عند باسم فرات:

إنَّ صورة الأنا مختلفة عن صورة الآخر وتجلياتها في الأعمال السردية ولا سيما في الرحلة، ومَرَّدُ هذا الاختلاف إنما يعودُ إلى أن صورة الأنا بصورة عامة مستندة إلى تجارب وخبرات عاشها الأديب أو الكاتب أو الروائي في مجتمعه أو مجتمع غيره عن قربٍ، فتكونت نتيجة لهذه المعايشة علاقاتٍ وروابط نفسية واجتماعية متمثلة في الصداقة والقرابة مما وَطّد علاقاته فأضحَتْ عميقة شاملة جعلت من الصورة التي يُقدّمها أو التي يجسدها في أدبهِ غنية وتفصيلية وممتعة في الوقت نفسِهِ[٥٦].

فالأنا بودقة مُنْصهرة فيها المنظومة السيكولوجية الاجتماعية والتي تتحددُ بطبيعة تطورية للمجتمع المتكون من عناصر ثقافية كالقيم والأهداف التي يتمثلها الفرد ويعملُ بها؛ بل ويعمل على إيصالها للآخر من خلال التأثر والتأثير[٥٧]. ومن خلال قراءة المؤلّفات الرحلية لباسم فرات لاحظنا غناها واتساعها؛ فقد قَدَّم لنا قراءة لذاتهِ مفعمة بالتجارب وغيرها وهو ما يستوضحُ لنا من خلال المحاور الآتية:

أ- الأنا المتشوقة للاكتشاف:

يميل الرحالة إلى الاكتشاف، ويعبر عن شوقه ورغبته في استكناه المجتمع المُرتحل إليه، يقولُ عن مدّة إقامته في الأردن: ((طوال مدة إقامتي حرصتُ على الدخول في عمق المجتمع، فحضرت أعراسًا ومناسبات وفعاليات وأنشطة ثقافية واجتماعية، وكنت أرتاد الأسواق والمعابد والشوارع الخلفية، أقمت علاقاتٍ مع الكسبة والبَاعة وبسطاء الناس من أن الكادحين إخوتي، وأنهم ملهمو قصائدي وكتاباتي، هُم نبض المجتمعات وحقيقتها الناصعة بلا رتوش))[٥٨].وهذه العادة في الاكتشاف تجسد كيفية تعامله مع الاستكشاف المتخيّل للقاء الناس والتعرف عليهم.

وقد تكون الأنا المتشوقة للاكتشاف شغوفةً بالمدن المُرتحل إليها، يقولُ في رحلتِهِ إلى هيروشيما والتي عَبَّرَ عن سحرهِ بها كما سحرته مدينته بغداد: ((ما شُغِفْتُ بمدينة مثلما شُغفت بمدينة هيروشيما، وما سحرتني مدينة مثلها باستثناء بغداد، وأعذرني أيها القارئ يا شريكي وصنوي، تكرار عبارات الشغف بهذهِ المدينة وإني لأطمعُ بوعيك وتفهمك لضحية استُغِلَ في كل مكانٍ عمل فيه وعانى كثيرًا من خجلهِ استُغِلَ في كل مكان عمل فيه وعانى كثيرًا من خجلهِ وحياته وانغماسهِ وهوسه بالشعر والكتب))[٥٩]، هذا الشغف الذي لاحظناه في النصين السابقين سببه الرغبة في الاطلاع، ومعاينة المكان واكتساب الخبرة.

إنّ باسم فرات في رحلاته يتعامل مع المكان الذي يزورهُ على أَنَّ زيارته الأولى والأخيرة، ويحاول قدر استطاعته استنشاق روح المكان، واستنفار حواسه كلها، يقولُ في رحلته إلى جزيرة سانتاكروز التي بدأ رحلته إليها في يوم الجمعة ٢٠١٣/١٢/٢٧: ((سوف أحاول أن أدون ما استطيع غدًا فبعد ساعة سوف ينطلق الزورق للوصول إلى جزيرة أخرى تحوي نباتات وحيوانات وطيورًا مختلفة، وهذا يعني صعوبة النوم بسبب صوت المركب الذي يسير ليلًا كي يوفر علينا النهار لنقضيه في الجزر والشواطئ والتعرف على ما في الجزر من نباتات وحيوانات وطيور و... الخ))[٦٠].

إنَّ شغف باسم فرات بالترحال محل استغراب من السكان المحليين، فهو برأيهم يُبدِدُ مَالهُ على مناطق لا تستحق المشاهدة، وهذا يكشف التعارض والتباين بين ذات الرحالة المولعة بالترحال والاكتشاف وبين الآخر الذي لا يجد مبررًا لها، يقول: ((وعبر تجربتي في الترحال لاحظتُ أن السكان المحليين يستغربون من هوسي ببلدهم، ويُبحلقونَ بي حين أخبرهم بأنني زرتَ معظم مناطقه؛ بل بعضهم يُبدي استغرابًا لأني أُبدِّدُ مالي على مناطق لا تستحق المشاهدة؛ لأنهم يعتقدون أنّ السفر يجبُ أن يكون للبلدان (المتقدمة)، والمدن الشهيرة مثل لندن وباريس وبرلين ونيويورك، بينما أرى الكنوز التي بين ظهرانيهم من آثار ونظم بيئية متعددة ومتنوعة وعادات وتقاليد وأزياء وموسيقى ورقص وغناء وغير ذلك))[٦١].

إن الرحلة على وفق ما تقدّمَ هي سرُ وحدةِ الإنسان وشغفهُ الدائم في الاكتشاف وحُب المعرفة ارتيادًا للمجهول، خاصةً مع الزيادة في رغبة الإنسان في الانتقال والسفر لاكتشاف المجهول، بغية التعرف على المنجز الحضاري المتجذّر في أعماق المجتمعات المرتحل إليها[٦٢].

يقولُ باسم فرات الذي كثيرًا ما يركز على هذهِ التجذرات الحضارية: ((الكادحون الفقراء تتعرف على لهجتهم وأحاديثهم العابقة بشذى الأصالة، فهم منبعٌ ثَرٌّ للتزودِ بجوهر المجتمع الذي ننتقل للعيش فيهِ، لم ينقطعوا عن تراثهم فلهجتهم تقتربُ كثيرًا من لهجة الآباء والأجداد، أعني مستويات اللغة والكلام، مثلما تساعد تلقائيتهم في فهم الأنساق الثقافية والعوامل الاجتماعية في مجتمعهم))[٦٣]. يقول باسم انهم نبض

المجتمعات وحقيقتها بلا زيف ورتوش فهو يستمتع بالحوار مع الكادحين والفقراء فهم منبع ثري لتزويده بالمعلومات.

يؤمن باسم فرات مثل غيره من الرَّحالة في العصر الحديث بأنَّ الرحلة ((جزء أصيل من حركة الحياة على الأرض إذ تعتبر بحق رباط الاتصال وجسر اللقاء بين الأمم والشعوب وعامل التلاقُح والتلاحم بين الحضارات؛ إذ تعزز أواصر القرابة وتثَمِّن وشائج الرحم مُجَسدةً المفاهيم التي أغرتِ البشر بالألفة والاتحاد مُفجرة الإنسان استشعار المصالح المشتركة التي وَثّقت عُرى وحدته على الأرض))[٦٤].

يقول عن رحلته إلى راوندا أرض المليون ضحية: ((عندما بدأت الخطوط الجوية الكينية بالهبوط، قلت هذا هو البلد الرابع والثلاثون: إني مُتحفز للدهشة والجديد من المعرفة، كعادتي لم أقرأ عن راوندا، أنا وزوجتي تقاسمنا الأدوار، هي تخططُ وتقرأُ وتبحث وتبحث وتضعُ برنامجًا، وأنا لا أفعل شيئًا لسبب بسيط جدًا تطلب منها وقتًا لتقتنعَ بهِ، والسبب هو خشيتي من فقدان الدهشة حين أدخل الأمكنة حاملًا كمًا معرفيًا عنها، هذهِ الدهشةُ تنفعني كثيرًا بكتابة الشعر واليوميات))[٦٥].

ولا يخفي باسم فرات فرحهُ المعرفي بالمكان المرتحل إليه، كما في وصفهِ لرحلتهِ إلى معبد الخصب في اليابان، يقول: ((هذهِ احدى الرحلات المميزة التي عشت ساعتها بفرح معرفيّ، ففي يوم كان يتذبذب بين البكاء والتأمل، فإن بكى اغتسلت الشوارع والبنايات والأشجار والأنهار والسيارات بالبلل، وإن تأمل انسحبت الغيوم لتفسح للشمس اطلالتها على الطبيعة،)) [٦٦] ثم يسترسل باسم فرات الحديث عن معبد الخصب فيعمد الى الموازنة ما بين المعابد في العراق والبلد المرتحل اليه ((توقفنا أمام معبد الخصب، ترجّلنا من السيارة، لنبدأ الدخول، فالمعبد في جبل، وعلينا أن ندخله صعودًا، والمعروف أن نسبة كبيرةً من المعابد في العالم تُبنى على مرتفعات للدلالة على السمو، وهذا ما تشترك فيه البشرية جمعاء، لا تختلف زقورات العراق، ومعابده عن اليابان وكلاهما لا يختلف عن معابد في أقصى المحيط الهادئ))[٦٧]، فالفرح عادة هو مقدمة الرحال التي من خلالها يستطيع إن يتعايش مع الأمكنة بحرية تامة.

ب- الأنا المحبطة الحزينة، الغريبة:

قد يعبر باسم فرات عن إحباطه وحزنه في بعض رحلاتهِ، يقولُ بعد وصولهِ إلى هيروشيما قادمًا من الأردن: ((هكذا وصلت إلى هيروشيما مُحبطًا حزينًا أحمل همًّا ثقيلًا بالغُبن والشعور بالتعرّض للتمييز العنصري، رُبما كنتَ حينها قد شطحتُ في مشاعري، ولكن هذا ما انتابني حينها فوجدت ضالتي في اليابان البلد الأول الذي اخترته بإرادتي ولم يُفرض عليَّ عكس الأردن الذي كان متنفسًا وحيدًا للعراقيين، وعكس زي الجديدة ((نيوزيلندة)) التي فرضتها عليّ المفوضية السامية لشؤون اللاجئين))[٦٨] الحزن عند باسم فرات نتيجة ما مر عليه من احداث في حياته وغبن في الاماكن المرتحل اليها.

وجد باسم فرات نفسه أقليةً في كل شيءٍ في مدينة ولِنغُتن؛ لأنه عراقي؛ ولأنه عربي؛ ولأنه مسلم، فهذه هويات لم يخترهَا ولم يَتبنْهَا، وقدّم نفسه بوصفه عراقيًا، مع أن شركاء الوطن يقدمون أنفسهم بهويات صنعت العراق وضمن بودقتهِ؛ ولكنها تتحول إلى عدوانية وضيقةٍ حينما تتخلى عن عراقيتها[٦٩]، وهَذا دليل كبير على عراقيته وتجاوزه محنة المذهب، والقومية، والدِّين.

وهذا كان مدعاةً ليشعرَ بالنفي والغربة، يقول: ((أنا غريبٌ ومنفي دون إرادتي لم أختر البلاد، أشعرُ بوحدةٍ قاتلة، عرفتُ أهمية العائلة في هذهِ المدينة التي تعوي الرياح بها، كنت أسمعها وهي تقول: أيُّها

الغريبُ مضيْتَ على ما مضى عليهِ سلفك العظيم كلكامش تبحث عن عشبة الخلود التي لن تجدَ لا شيء سوى إصرارك وقوة إرادتك))، لن يبتسم المنفى للواهمين والكسالى، والحياة ليست كأس نبيذٍ وعناق صبايا وانتظار موعد نزول مساعدات الضمان الاجتماعي في حساب، إنها لهاثٌ لا ينتهي، وعليك أن ترسمَ الخطوات القادمة في أثناءِ لهاثِك فإن توقفت فسوف تستدير نحو البداية))[٧٠].

إنّ هذا الغريب يعتصرهُ الحزن وتحاصرهُ الدموع حزنًا على ما جرى لبلدهِ العراق أعقاب أحداث التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣م، يقول: ((ما شاهدته في التلفزيون النيوزلندي عقب احتلال بغداد في التاسع من نيسان ٢٠٠٣م كان بالنسبة لي أكثر ألمًا وفجائية، فهو محو للذاكرة العراقية، تدمير للبلدِ بطريقة منتقم حاقد لا هم لهُ سوى أمرينِ المال والخراب، كل ما قرأتهُ عن هولاكو حضر أمامي وأنا أرى تراثي نهبًا، نَشَجْتُ والدموع تنهمر ورحتُ أصرخ في غرفتي المتواضعة في العاصمة النيوزلندية بأعلى صوتي، إنه بلدي وتاريخي، وذاكرتي وهويتي))[٧١].

وهذا الحزن لا يفارق باسم فرات وهو في أرض الارتحال، فالذكريات تحاصرهُ، والأسى يتملّكُهُ بين بغداد وكيتو، يقول: ((أين هي بغداد اليوم والتي صُنفت كأسوأ مدينة في العالم، من بغداد ماضيها العجيب حتى إن المرءَ ليحارَ هَلْ كانت كتب التاريخ كاذبة، كيف لعاصمة من عواصم جمهوريات الموز تحوي مئات الحدائق والمتنزهات ونفوسها ثلث نفوس بغداد بل وأقل، بعض متنزهاتها مساحاتها تزيد على مليون متر مربع، وعشرات المتنزهات مساحة كل متنزه فيها يزيد على عشرة آلاف متر مربع، وأعني بها مدينة كيوتو التي أسكنها منذ أكثر من عام))[٧٢]، وهكذا نجد (انا) باسم متفردة في عراقيتها، وسلامها الدائم، وجها للثقافة.

ت- الأنا القلقة:

عبّر باسم فرات عن قلقهِ في بعض سردياتهِ الرحلية فقد يكون هذا القلق مشوبًا بالفرح، يقول وهو في انتظار خبر مغادرته إلى أوتاروا: ((كان فرحي كبيرًا وأنا انتظرُ خبر مغادرتي إلى أوتاروا فرحًا مشوبًا بالقلق والخوف، كان أكثر ما أخشاهُ هو أن تبرد جمرة الشعر المتوهجة في روحي اللائبة، حتى أنني أخبرتُ شخصًا حين دار الحديث بيننا عن أتاروا أنني سأعودُ إلى عمّان لو اتّضح لي أن جمرة الشعر انطفأت))[٧٣].

وفي موضع آخر يُشبه نفسَهُ بأنّهُ قلقٌ يمشي على الأرض يقول: ((كنتُ قلقًا يمشي على الأرض، حاملًا هموم السنوات المليئة بالأسى وبالخيبات، وما تعرضت له في حياتي من انكسارات، مُنكسرٌ أنا، ولكن بقوة انكساري أقبض على أمل عظيم، وإرادة يراها الناظرُ هشَةً، وهي أقوى من الفولاذ، لولا الأمل والإرادة، وعلى الرغم من إيماني، إلا إنني لم أحقق الكثير مما حلمت بهِ في سنوات التشكل التفاني الأولى، يوم كنت لا أجرؤ على البوح بالرغبة الملحة في أعماقي أن أقومَ برحلةٍ لا تشبهُ رحلات ابن بطوطة ولا ابن جبير ولا مغامرات المتنبي والشاعر الفرنسي آرثر رامبو، ولا البياتي والجواهري وبابلو نيرودا وسواهم من الشعراء))[٧٤]؛ فالقلق عند باسم ناجم عن مشكلات تقع خارج اناه، وما القلق الذي ينتابه سوى قلق المبدع الذي يريده للعالم ان يكون جميلًا.

الخاتمة:

تبيّن لنا من خلال رحلات باسم فرات ظهور النتائج الآتية:

١. لا توجد مشكلة بين الرحال والآخر الذي يصادفه باسم فرات في أي وطن أو أَرض؛ فقد استطاع باسم فرات أَنْ يتفاهم مع البشر ولو بالإشارة، والابتسامة؛ وهذا دليل على سماحة الرحال وحُسن أخلاقه.

٢. اعتنى باسم فرات بثقافة الآخر بوساطة الكشف عن طبيعتها، وما فيها من أصول ومضامين وقضايا تخص الإنسان.

٣. كان باسم فرات في رحلاته جميعها مندمجًا مع الآخر، ومناصرًا لَهُ في قضاياه المصيرية، ومؤيدًا لَهُ في تطلعاته، معتنيًا بلغته، وثقافته، ولم يكن عنصريًا في تصوراته.

٤. كان باسم فرات حاملًا للثقافة العربيّة التي رغب في أَنْ يطلع الآخر عليها.

الهوامش :

(١) ينظر: التعبير عن الذات والموقف من الآخر في أدب الرحلة؛ د. علي مزيان:(بحث منشور في كتاب أدب الرحلة: جدلية الأنا والآخر في عالم متغير): دار كنور المعرفة للنشر والتوزيع: عمّان: الاردن: ط ١: ٢٠٢٠: ٢٦٠.

(٢) ينظر: الآخر في أدب الرحلة دراسة انثروبولوجية: د. وائل بن يوسف العريني: ٢١٠.

(٣) لؤلؤة واحدة وألف تَلّ رحلات بلاد أعالي النيل: ٣٩.

(٤) ينظر: الآخر في أدب الرحلة دراسة انثربولوجية: د. وائل بن يوسف العريني: ٧١.

(٥) لؤلؤة واحدة وألف تل رحلات بلاد أعالي النيل: ١٨.

(٦) نفسه: ١٨.

(٧) نفسه: ١٩.

(٨) طواف بوذا رحلاتي إلى جنوب شرق آسيا: باسم فرات: ١٧.

(٩) لؤلؤة واحدة وألف تَلٍ: ٢١.

(١٠) نفسه: ٣١.

(١١) لؤلؤة واحدة وألف تَلّ: ٣٢-٣٣.

(١٢) ينظر: الآخر في أدب الرحلة دراسة أنثروبولوجية: ١٤٥.

(١٣) طواف بوذا رحلاتي إلى جنوب شرق آسيا: ١٥-١٦.

(١٤) نفسه: ١٧.

(١٥) أمكنة تلوح أو غوايات الأمكنة: ٢٧.

(١٦) لا عشية عند ماهوتا: ٧.

(١٧) طواف بوذا رحلاتي إلى جنوب شرق آسيا: ١٨.

(١٨) الحلم البوليفاري: ٦٥.

(١٩) طواف بُوذا رحلاتي إلى جنوب شرق آسيا: ٣٢.

(٢٠) نفسه: ٣٨.

(٢١) الحلم البوليفاري: ٨٦.

(٢٢) نفسه: ٨٨.

(٢٣) أمكنة تلوح: ٨٢.

(٢٤) نفسه: ٨٣.

(٢٥) نفسه: ٨٣.

(٢٦) لا عشبة عند ماهوتا: ٣١.

(٢٧) الحلم البوليفاري: ٢٥-٢٦.

(٢٨) ينظر: الآخر في أدب الرحلة دراسة انثروبولوجية: ٢٩٣.

(٢٩) أمكنة تلوح: ٤٣.

(٣٠) مسافر مقيم (عامان في أعماق الإكوادور): ٧٩-٨٠.

(٣١) نفسه: ٧٩-٨٠.

(٣٢) أمكنة تُلّوح: ٨١-٨٣.

(٣٣) نفسه: ٨١-٨٣.

(٣٤) ينظر: أدب الرحلات: حسين فهيم: ١١٥.

(٣٥) الحلم البوليفاري: ١٨-١٩.

(٣٦) نفسه: ١٨-١٩.

(٣٧) أدب الرحلة جدلية الأنا والآخر في عالم متغير: ٥١١.

(٣٨) الحلم البوليفاري: ٦٨.

(٣٩) نفسه: ٧٠.

(٤٠) ينظر: أدب الرحلة جدلية الأنا والآخر في عالم متغير: ٣٤٨-٣٤٩.

(٤١) لا عشبة عند ماهوتا: ٣٨.

(٤٢) نفسه: ٣٩-٤٠.

(٤٣) ينظر: الآخر في أدب الرحلة: ٢١٧.

(٤٤) ينظر: صورة المرأة في رحلة ابن بطوطة: ٧٣-٧٤.

(٤٥) طواف بُوذا رحلاتي إلى جنوب شرق آسيا: ٢٦-٢٧.

(٤٦) طريق الآلهة من منائر بابل إلى هيروشيما: ١١٣.

(٤٧) لا عشبة عند ماهوتا(المقدمة): ٥.

(٤٨) نفسه: ١٨.

(٤٩) أمكنة تُلوح أوغوايات الأمكنة: ٨٩.

(٥٠) الحلم البوليفاري: ٥٦-٥٧.

(٥١) نفسه: ١١٩-١٢٠.

(٥٢) نفسه: ١٢٣.

(٥٣) طريق الآلهة من منائر باب ل إلى هيروشيما: ١١٠-١١١.

(٥٤) نفسه: ١١٧-١١٨.

(٥٥) طريق الآلهة من منائر بابل إلى هيروشيما: ١٩٩-٢٠٠.

(٥٦) ينظر: صورة الآخر في التراث العربي: ماجدة حمود: ٢٠.

(٥٧) ينظر: الأنا والآخر الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية: عمرو عبد العلي علام: ١٠.

(٥٨) طواف بوذا رحلاتي إلى جنوب شرق آسيا: ٨-٩.

(٥٩) طريق الآلهة من منائر بابل إلى هيروشيما: ٤٤.

(٦٠) الحلم البوليفاري رحلة كولومبيا الكبرى: ٤٩-٥٠.

(٦١) لؤلؤة واحدة وألف تل رحلات بلاد أعالي النيل: ٦.

(٦٢) ينظرُ: الرحلة في الأدب العربي: شعيب حليفي: ٥.

(٦٣) طواف بوذا رحلاتي إلى جنوب شرق آسيا: ٩.

(٦٤) الرحلة عين الجغرافية المبصرة: صلاح سامي: ٢.

(٦٥) لؤلؤة واحدة وألف تَلٍّ: ٩.

(٦٦) طريق الآلهة من منائر بابل إلى هيروشيما: ١٧٨.

(٦٧) نفسه: ١٧٨.

(٦٨) نفسه: ٦.

(٦٩) يُنظر: لا عشبة عند ماهوتا: ١٥.

(٧٠) لا عشبة عند ماهوتا: ١٥.

(٧١) مسافرٌ مقيم عامان في أعماق الإكوادور: ٦١.

(٧٢) نفسه: ٦٢-٦٣.

(٧٣) لا عشبة عند ماهوتا: ٩.

(٧٤) نفسه: ٨.

المصادر والمراجع:

١. الآخر في أدب الرحلة دراسة انثروبولوجية: د. وائل بن يوسف العريني: الدار المتوسطية: تونس: ط١: ٢٠٢٠.
٢. أمكنة تلوح للغريب : باسم فرات: دار خطوط وظلال للنشر والتوزيع : الأردن: د.ط: ٢٠٢١.
٣. الأنا والآخر الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية: عمرو عبد العلي علام: دار العلوم للنشر والتوزيع: القاهرة: ط١: ٢٠٠٥.
٤. التعبير عن الذات والموقف من الآخر في أدب الرحلة؛ د. علي مزيان: (بحث منشور في كتاب أدب الرحلة: جدلية الأنا والآخر في عالم متغير): دار كنور المعرفة للنشر والتوزيع: عمّان: الاردن: ط١: ٢٠٢٠.
٥. الحلم البوليفاري رحلة كولومبيا الكبرى: باسم فرات: صدرت عن الحضارة للنشر: القاهرة: د.ط: ٢٠١٥.
٦. الرحلة عين الجغرافية المبصرة: صلاح سامي: منشأة المعارف: الإسكندرية: د.ط: د.ت: ١٩٨٢.
٧. الرحلة في الأدب العربي: شعيب حليفي: التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل: الهيئة العامة لقصور الثقافة: مصر: أبريل: ٢٠٠٢.
٨. : صورة الآخر في التراث العربي: ماجدة حمود: منشورات الاختلاف: الدار العربيّة للعلوم ناشرون: ط١: ٢٠١٠.
٩. صورة المرأة في رحلة ابن بطوطة: أسمهان جدير حيداوي: تونس: د.ط: ٢٠٠٣.

١٠. طريق الآلهة من منائر بابل إلى هيروشيما: من منائر بابل إلى هيروشيما: باسم فرات: الاتحاد العربي للطباعة والنشر: القاهرة: د.ط: ٢٠٢٠.
١١. طواف بوذا رحلاتي إلى جنوب شرق آسيا: باسم فرات: رحلاتي إلى جنوب شرق آسيا: باسم فرات: دار الأدهم للنشر والتوزيع: القاهرة: ط١: ٢٠١٩.
١٢. لؤلؤة واحدة وألف تَلّ رحلات بلاد أعالي النيل: باسم فرات: رحلات بلاد أعلي النيل: دار الأدهم للنشر والتوزيع: القاهرة: ط١: ٢٠١٩.
١٣. لا عشية عند ماهوتا: من منائر بابل إلى جنوب الجنوب: باسم فرات: دار السويدي للنشر والتوزيع: الإمارات: د.ط: ٢٠١٧.
١٤. مسافرٌ مقيم عامان في أعماق الإكوادور: باسم فرات: دار السويدي للنشر والتوزيع: الإمارات العربيّة المتحدة: د.ط: ٢٠١٤.